Portuguese policy towards Basrah during the sixteenth and seventeenth centuries

Assistant Professor Dr. Haidar Lzim Aziz
College of Arts / The University of Basrah

Abstract:

It is well known that the Portuguese were the first in the field of modern colonialism due to several factors that helped them. The first factor is that Portugal is a coastal country and their government pay more attention to sail and ride the high seas by supplying maps of the waterways and sea routes. In addition to that, their government took care of the experts in navigation as well as providing the navigational tools which considered developed at that time. The spirit of adventure and love of wealth played a crucial role in the leadership of the Portuguese to the area to get the colonies in addition to the religious reason which represented by the Crusader spirit. Basrah was very important area in the international and regional conflict in the Arabian Gulf region. Accordingly, different forms of the relationship between the Portuguese and Basrah which had begun when a Portuguese traveler passed Basrah then the relation evolved into business one then it soon turned into a military clash, because the Portuguese tried to impose their control on Basrah by force, but the Safavids who ruled Iran encouraged the Portuguese in establishing good relations with Basrah which became a key base for commercial activity and missionary in the Arabian Gulf region.

السياسة البرتغالية تجاه البصرة
خلال القرنيين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين

أ.م.د.حيدر لازم عزيز
كلية الآداب / جامعة البصرة

المستخلص :

من المعروف ان البرتغاليين كانوا سباقين في مجال الاستعمار الحديث ، بسبب توفر عدة عوامل ساعدتهم في ذلك ، أولها كون بلادهم ساحلية ، مع اهتمام حكومتهم بالابحار وارتياد أعالي البحار فوفرت الخرائط للممرات المائية والمسالك البحرية ، كما احتضنت كوادر خبيرة في الملاحة ، فضلاً عن توفيرها للادوات الملاحية التي كانت تعد متطورة أنذاك ، وقد لعبت روح المغامرة وحب الثروة دوراً حاسماً في ريادة البرتغاليين لمجال الحصول على المستعمرات، ناهيك عن الروح الصليبية التي أطرت الاسباب السابقة . وكانت البصرة حلقة مهمة من حلقات الصراع الدولي في منطقة الخليج العربي . وعليه اختلفت اشكال العلاقة بين البرتغاليين والبصرة فقد بدأت من خلال مرور أحد الرحالة البرتغاليين اليها ثم تطورت الى علاقات تجارية ما لبثت ان تحولت الى صدام عسكري لأن البرتغاليين حاولوا فرض سيطرتهم عليها بالقوة ، لكن ظهور الصفويين في ايران جعل البرتغاليون يحاولون اقامة علاقات طيبة مع البصرة ، التي تحولت الى قاعدة اساسية لنشاطهم التجاري والتبشيري في منطقة الخليج العربي .

المقدمة :

تمتعت البصرة بموقع جغرافي مهم عبر كل العصور مما منحها أهمية كبرى في آستراتيجيات الدول الاستعمارية . ففي العصر الحديث وحينما ظهرت حركة الكشوف الجغرافية، وما تبعها من ظهور مفهوم الاستعمار الحديث تجلت أهمية البصرة في اوضح صورها من خلال سعي كل الدول الاستعمارية إلى فرض هيمنتها على هذه المدينة ، ولاسيما البرتغال التي كانت من رواد الكشوف الجغرافية و الاستعمار الحديث ، حيث سعت بوسائل عدة لفرض سيطرتها عليها بعد ان اخذت تتحكم بطرق التجارة القديمة ولاسيما طريق التوابل أو البخور الذي يربط الهند وجزر الهند الشرقية بقارة أوربا فكانت البصرة حلقة مهمه في مسار هذا الطريق الحيوي .

تمهيد :

من المعروف ان البرتغاليين كانوا سباقين في مجال الاستعمار الحديث ، بسبب توفر عدة عوامل ساعدتهم على ذلك ، أولها موقع بلادهم الساحلية ، مع اهتمام حكومتهم بالابحار وارتياد أعالي البحار، فوفرت الخرائط للممرات المائية والمسالك البحرية ، كما احتضنت كوادر خبيرة في الملاحة ، فضلاً عن توفيرها للادوات الملاحية التي كانت تعد متطورة أنذاك ، وقد لعبت روح المغامرة وحب الثروة دوراً حاسماً في ريادة البرتغاليين لمجال الحصول على المستعمرات ناهيك عن الروح الصليبية التي أطرت الاسباب السابقة[١] .

فأدت هذه الظروف في مجملها إلى تمكن البرتغاليين من الدوران حول رأس الرجاء الصالح في سنة ١٤٩٨م ، بقيادة الملاح فاسكو ديكاما Vasco de game، وهو أمر فتح طرق الشرق وموانئه الغنية أمام البرتغاليين مباشرة ، بعد ان كانوا لايعرفونها إلا عبر وساطة البحارة العرب المسلمين [٢] .

ثم جاب البرتغاليون ساحل افريقيا الشرقي واستمروا في ابحارهم شرقاً حتى وصلوا إلى الخليج العربي سنة ١٥٠٧م (٣)ثم إلى الهند سنة ١٥٠٩م وأنشأوا اول مستعمراتهم فيها على ميناء كاليكوت Calicut[٤] .

ومن جانبه شهد المشرق الاسلامي عند مطلع القرن السادس عشر الميلادي تنامي نفوذ ثلاث دول تصارعت فيما بينها على مد سيطرتها وفرض هيمنتها ، وهي الدولة العثمانية في آسيا الصغرى التي امتدت إلى اوربا الشرقية والوسطى ، والدولة الصفوية[٥] التي ظهرت في حدود سنة ١٥٠١م في بلاد فارس وامتد نفوذها من مدينة هراة في افغانستان إلى ديار بكر في جنوب هضبة الاناضول مروراً ببغداد التي سيطرت عليها سنة ١٥٠٨م ، بعد اسقاطها لدولة الخروف الابيض (الآق قوينلو) التركمانية ، وثالث هذه الدول هي الدولة المملوكية (١٢٥٠-١٥١٧م) التي حكمت مصر وبلاد الشام وغرب شبه الجزيرة العربية ، فضلاً عن توغل القوى الأوربية الرائدة في مجال الاستعمار والمتمثلة بالبرتغاليين[٦] الذين بدأوا اهتمامهم بمنطقة الخليج العربي منذ سنة ١٤٨٨-١٤٨٩م حينما طاف فيها (بيرو دي كافلهاو) Joao Peres de Cavilhao الذي استطاع من خلال معرفته باللغة العربية جمع معلومات حول النشاط التجاري في المشرق ساعدت لاحقاً قوات بلاده في غزوها العسكري للمنطقة[٧] ومن الجدير بالملاحظة أن أول اتصال بين البصرة والبرتغاليين قد حدث عبر هذا الرحالة حيث كان بصحبة رحالة آخر مواطن له يدعى الفونسو دي بايفا Alfonzo de Paiva لكنهما افترقا في عدن فسار (كافلهاو) إلى (كوا) Coa على ساحل الهند الغربي ومنها إلى جزيرة هرمز في الخليج العربي ثم زار البصرة وبلاد الشام ومصر[٨]. وبعد ست عشرة سنة تقريباً من تلك الرحلة دخل البرتغاليون الخليج العربي في سنة ١٥٠٦م ، وفي تسع سنوات لاحقة كانوا قد سيطروا على موانئه وراحوا يحتكرون تجارته ، الأمر الذي أوجد اوضاعاً جديدةً ظهرت في مختلف الانحاء[٩] .

وقد تأثرت البصرة بهذه التطورات تأثراً مباشراً، فحكومتها المحلية بزعامة أميرها راشد بن مغامس آل عليان[١٠] حاول في بداية الأمر الأذعان لسيطرة الصفويين في مسعى منه للحفاظ على علاقات البصرة التجارية مع بلاد فارس ، لكنه ما لبث أن غَيّر توجهاته حينما سقطت بغداد بيد العثمانيين سنة ١٥٣٤م ليعلن ولائه للباب العالي ، وربما يعود ذلك إلى محاولته جر الدولة العثمانية باعتبارها أعظم قوة برية حينها إلى رأس الخليج العربي لتقوم بالقضاء على الوجود البرتغالي وكسر هيمنتهم البحرية و التجاريه على موانئ المنطقة[١١] .

البصرة وسياسة البرتغاليين الاحتكارية :

يعد عام ١٥٠٦م نقطة تحول في حركة الاستعمار البرتغالي في الشرق ففيها غادر (الفونسو دي البوكيرك) Alfonzo de Albuquerque لشبونة Lisbon ليقود القوات البرتغالية في الشرق ، ثم أصبح في سنة ١٥٠٩م نائباً لملك البرتغال في الهند ، فقد كان البوكيرك صاحب أطماع كبيرة تقوم على تأسيس امبراطورية برتغالية استعمارية صليبية كبيرة، تنتزع التجارة الشرقية من أيدي العرب المسلمين ، وكانت خطته لتحقيق اطماعه تقوم على ضرورة السيطرة على مراكز التجارة البحرية الشرقية في البحر الأحمر وعدن وجنوب شبه الجزيرة العربية ، فضلاً عن السيطرة على البحرين والقطيف ورأس الخليج العربي المتمثل بالبصرة[١٢] . ولاسيما إن البرتغاليين كانوا ينظرون إلى البصرة نظرة تتسم بالحقد والحسد ، فوضعوا المدينة ضمن مشروعاتهم الاستعمارية، وحاولوا استغلال اي فرصة تسنح لهم لفرض سيطرتهم عليها[١٣]. بوصفها من اعظم اسواق الشرق والعالم اذ تمتعت بشهرة كبيرة لاتدانيها سوى شهرة بغداد باسواقها وخاناتها[١٤] .

ولتحقيق اطماع (البوكيرك) المذكورة،شرع البرتغاليون في تطبيق سياسة اقتصادية قائمة على فرض الضرائب الباهضة على سكان الموانئ الخليجية التي وقعت تحت النفوذ البرتغالي بعد تدميرها، فضلاً عن ألحاق الخراب بالمراكز التجارية والبحرية في المنطقة عن طريق أحراق الموانئ بما فيها من سفن راسية،وحرمان السكان من حقهم في المتاجرة باتباع وسائل

النهب والقرصنة، ومنع أيةً سفينة عربية من ممارسة التجارة دون أذن رسمي بالملاحة صادر منهم،كما عمدوا إلى فرض رسوم كمركية على نشاطات الشحن والتفريغ والتخزين في الموانئ العربية باشراف موظفين كبار مثلوا الارستقراطية البرتغالية،ولم يكن يسمح لأي سفينة بمغادرة الموانئ التي خضعت لنفوذهم بدونها وإلا تعرضت للسلب والنهب من قبلهم ، وجرت العادة أن تقوم القوات البرتغالية الاستعمارية بتحصيل الرسوم الكمركية على البضائع بما لايقل عن العشرة بالمائة ومن أجل ذلك أجبرت السفن على المرور أَما في هرمز أو في ميناء مسقط[١٥].

وكان البرتغاليون في بداية الأمر يراعون الأذن الرسمي الذي يصدر منهم لابحار السفن في الخليج العربي ، فلا يتعرضون للسفن التي تحمله ، ثم ساء الأمر أَكثر وأَصبحت القوات البرتغالية تمارس أعمال القرصنة حتى ضد السفن التي تحمل ذلك الأذن، الذي اصبح اجراءا شكلياً، فما إنْ تخرج السفن العربية الاسلامية إلى عرض البحر محملة بالبضائع حتى يهاجمها الجنود البرتغاليين سواء أكان لديها أذن رسمي أم لا فيسلبون سلعها ويغرقونها بمن فيها[١٦] .

وفي ظل هذه الظروف الصعبة التي مرت بها المنطقة ظهر دور البصرة في افشال الحصار البرتغالي ، إذ ادت البصرة دوراً مميزاً ضد السياسية البرتغالية السالفة الذكر ، حيث كانت البصرة تستقبل السفن الخفيفة التي حملت البضائع المسربة من موانئ الخليج العربي بدون علم البرتغاليين إذ يتم نقل تلك البضائع بعد إنَ تصل البصرة إلى بغداد ومن ثم إلى حلب ودمشق ، وكانت تصل حتى إلى السويس والقاهرة ، مما زاد من غضب البرتغاليين على مدينة البصرة[١٧] . أي إنْ تلك المدن كانت تعيش بفضل تجارة البصرة التي صمدت أمام التحدي البرتغالي .

ومن الجدير بالذكر انه مما ساعد البصرة على الوقوف بوجه الأجراءات البرتغالية الاحتكارية العلاقات التجارية القديمة بين العراق وبلاد فارس والروابط الوثيقة بين البصرة

وبغداد، لكن البصرة عانت أيضاً بسبب ظهور العثمانيين في جنوب العراق حيث اقتضت مصلحة الصفويين الذين تنازعوا السيادة على الحويزة وجزء من شط العرب مع القبائل العربية، ان تحالفوا مع البرتغاليين لمجابهة العثمانيين والتضييق عليهم ، فقام العثمانيون من جانبهم بملاحقة التجار الذين يتاجرون مع الاجزاء الجنوبية من العراق كونه تحت النفوذ الصفوي . فانعدمت التجارة بين الشام والعراق ، مما زاد من معاناة البصريين بسبب هذا الموقف الجديد من العثمانيين فضلاً عن الحصار البرتغالي السالف الذكر[١٨] .

ومع عدم قدرة البرتغاليين على فرض سيطرتهم على البصرة فقد غيروا سياستهم تجاهها ولم يستخدموا سياسة القوة وإنما لجأوا إلى أسلوب المراوغة والسعي لاغتنام الفرص ، حيث فسح البرتغاليون بعض المجال أمام البصرة لتكون مركزاً مفتوحاً لتوزيع بضائع الشرق ، ففي رسالة للقائد البرتغالي (الفونسو البوكيرك) مؤرخة في الثاني والعشرين من أيلول سنة ١٥١٤م كتب فيها إلى ملك بلاده الآتي : " **إنه يعلم جيداً ان العالم العربي والتركي والفارسي يتزود بالتوابل من البصرة ، وأنه لا يرى في ذلك أي خطر على مصالح البرتغال ، مادامت تلك المناطق خارجة عن النفوذ العثماني ، وما دامت الكميات المحصل عليها لاتسمح قط بمنافسة البرتغال بأوربا** " [١٩] . أي أنّ البرتغال بعد ان احتكرت تصدير البضائع الشرقية إلى اوربا فلم تهتم بما يتسرب منها إلى البصرة ما دام لايصل إلى الاسواق الاوربية لأنه كان باهض الثمن مقارنة بالبضائع الشرقية التي كانت البرتغال تحملها إلى أوربا عبر رأس الرجاء الصالح .

وبذلك استمر دور ميناء البصرة الريادي في التجارة الاقليمية في ظل السيطرة البرتغالية على التجارة الشرقية عامة وعلى تجارة الخليج العربي خاصة،ومن الملاحظ أن صمود البصرة التجاري في وجهه الاجراءات البرتغالية الاحتكارية،مثّل تطوراً جديداً في السياسة البرتغالية من خلال محاولتهم التقرب من آل مغامس حكام البصرة. حيث ادعوا (أي البرتغاليين) في عدة

مناسبات بأنهم على علاقات طيبة معهم[٢٠].وهو ما يحسب لآل مغامس الذين اجبروا هذه القوى الدولية الكبرى آنذلك على احترامهم ومعاملتهم معاملة الند للند.

وتجلى التقارب بين الطرفين في سنة ١٥٢٩م حينما استعان راشد بن مغامس أمير البصرة بالبرتغاليين ضد خصمة أَمير الحويزة فبعث نائب ملك البرتغال في الهند بقوة بحرية برتغالية بقيادة (تافاريز دي سوزا) Tavares de Susa غير أن خلافاً دبّ بين القائد البرتغالي وأمير البصرة ، جعل " تافاريز دي سوزا " يدمر بعض القرى البصرية ، ثم عاد ادراجة إلى هرمز بعد ان توغل في شط العرب[٢١] ويرجع سبب الخلاف إلى رفض راشد بن مغامس مساومة البرتغاليين له حول بعض شروط التجارة مقابل مساعدته وتوفير الحمايه له ضد أمير الحويزه[٢٢] .

فكانت هذه أول حملة برتغالية إلى رأس الخليج العربي[٢٣] ومن المرجح أن البرتغاليين قد طالبوا راشد بن مغامس أمير البصرة بأن يسلمهم عدداً من السفن العثمانية (سبع سفن) مع منعه الرعايا العثمانيين من القدوم إلى البصرة لغرض التجارة وهو ما رفضه راشد بن مغامس[٢٤]، الأمر الذي جعل البرتغاليين يصبون جام غضبهم على بعض القرى البصرية كما هو مذكور سابقاً . يوضح ذلك أن البصرة كانت مكاناً مهماً للصراع الدولي ، كما يوضح ان البصرة كانت تسعى للمحافظة على استقلاليتها على الرغم من تبعيتها الاسمية للدولة العثمانية.

لم تكن نتائج هذه الحملة سوى اسباب جانبية لنمو العداء والقطيعة بين البرتغاليين وآل مغامس لأن السبب الرئيس يعود إلى الاستراتيجية البرتغالية في المنطقة التي قامت على منع أي قوى محلية من زيادة قوتها وقدرتها على منافستهم ، حيث كان البرتغاليون يراقبون حكم أمارة آل مغامس في البصرة عن كثب ، ففي رسالة من قائد الاسطول البرتغالي في منطقة الخليج العربي (كرستافوا دي مندوزا) Gristavo de Mendoza مؤرخة في السابع من تشرين الثاني ١٥٢٨م بعث بها إلى الملك جوا الثالث Don Joao 3th ألقى مندوزا الضوء

فيها على سعي أمير البصرة إنشاء اسطول خاص به ، وأكدّ في رسالته على خطورة هذا الأمر على هرمز حيث مركز النشاط البرتغالي في المنطقة ، كما ألح مندوزا فيها على ضرورة منع تزايد نفوذ وقوة راشد بن مغامس ، و وقف اعتماد تجارة هرمز على البصرة[٢٥] .

وفي رسالة أُخرى بعثها هذه المرة قائد الاسطول البرتغالي في هرمز إلى ملك بلاده السالف الذكر في الثالث عشر من ايلول سنة ١٥٢٩م اخبره باعلانه الحرب على البصرة لرفض أميرها إعادة السفن التابعة لهرمز التي استولى عليها سابقاً ، ويشير تقرير برتغالي آخر بعث به قائد الاسطول نفسه إلى أن قواته مازالت في حرب ضد البصرة لرفضها تسليم السفن التي يملكونها ، وأكدّ التقرير على وجوب ان تكون السياسة البرتغالية تجاه البصرة قائمة على القوة منذ وقت طويل مضى ، حتى لا تمتلك البصرة أي قوة من شأنها الضرر بمصالح البرتغال[٢٦] .

من ذلك نستشف أن أول احتكاك عسكري بين البرتغاليين والبصرة كان بهدف مساعدة أميرها في صراعة ضد احدى القوى المحلية ، لكن الأمر انقلب رأساً على عقب بعد رفض راشد بن مغامس شروط البرتغاليين ، كما ادت سياسة البرتغايين التي كانت تخشى من نمو قوة البصرة إلى الصدام بين الجانبين .

البصرة قاعدة العثمانيين أعداء البرتغاليين

على الرغم من تمكن السلطان سليمان القانوني عاشر السلاطين العثمانيين(١٥٢٠ – ١٥٦٦م) من دخول بغداد في الثاني من كانون الاول ١٥٣٤م وضمه لوسط وجنوب العراق إلى املاك الدولة العثمانية ، إلا أن البصرة التي تعد مركز جنوب العراق لم تدخل في حيازة الباب العالي الا في الخامس عشر من كانون الاول سنة ١٥٤٦م ، عندما قضى العثمانيون على سلطة آل مغامس في البصرة[٢٧] . ومع نجاح العثمانيين في الاستيلاء على البصرة فقد بادروا إلى فتح باب الحوار مع البرتغاليين من أجل انعاش التجارة البصرية إذ أرسل محمد

باشا والي البصرة التاجر العربي الحاج فياض إلى الحاكم البرتغالي في هرمز (مانويل دي ليما) Manuel de Lema تتضمن رغبة الاستانة ببقاء تجارة البصرة مفتوحة مع إقامة علاقات تجارية مع البرتغاليين . ومع أنّ البرتغاليين قد اوفدوا ممثلاً عنهم إلى البصرة لرعاية مصالحهم التجارية فيها ، الا ان المحاولة في مجملها لم تنجح بسبب المخاوف البرتغالية من اتخاذ العثمانيون البصرة قاعدة لتهديد مصالحهم في الخليج العربي[٢٨] . يعود السبب في الخطوة العثمانية السابقة إلى رغبتهم في جعل البصرة "**بلداً تجارياً مزدهراً لانها ستدر ريعاً عظيماً على السلطان العثماني**" [٢٩] .

وكانت المخاوف البرتغالية في محلها اذ مثّلَ فرض السيطرة العثمانية على البصرة بدايةً لتنفيذ خطط بعيدة المدى للأستانة رمت إلى ضم شبه الجزيرة العربية وسواحل الخليج العربي الغربية والجنوبية الغربية إلى سلطة الباب العالي،حيث أرسل اسطولاً عثمانياً إلى مسقط من السويس بقيادة (بيري ريس) أكبر قائد أسطول عثماني ، فدمر هذا الاسطول القلعة التي بناها البرتغاليون هناك ثم توجه إلى هرمز وحاصرها،لكن البرتغاليين فكوا الحصار فغادر (بيري ريس) إلى البصرة بعد وصول امدادات برتغالية على وجه السرعة من الهند ، حيث طارد اسطول برتغالي القوة العثمانية حتى البصرة،التي حاول الاسطول المذكور الاستيلاء عليها لكنه فشل [٣٠] .

ومن الجدير بالملاحظة ان هذه الحادثة هي الاولى التي استخدم فيها العثمانيون البصرة قاعدة لاسطولهم . وقد أَثار هذا الأمر خشية البرتغاليين الذين ما كانوا ليرضوا بوجود قاعدة بحرية لأعدائهم العثمانيين على رأس الخليج العربي،لأنَّ العثمانيين اتخذوا قبل ذلك السويس قاعدة بحرية لهم لمهاجمة القوات البرتغالية في المياه الشرقية والاسلامية ، فسعى البرتغاليون إلى محاولة التقرب مجدداً من أمير البصرة السابق[٣١] الذي لجأ إلى الأحساء ، بعد أَنْ نشب الخلاف بينه وبين السلطات العثمانية حينما ارسل سليمان القانوني خرم بك ليبني قلعة لمراقبة الحصون التي اعطيت لبعض العشائر العربية مكافأة لانضمامهم إلى جانب العثمانيين .

فاستاءوا واستنجدوا بيحيى بن فضل أَّمير البصرة الذي بدوره نجدهم بمائة سفينة.ألا ان اويس باشا والي بغداد العثماني ارسل الفي جندي إلى خرم بك مما ساعدة على هزيمة المتمردين ، لكن يحيى بن فضل رفض الخضوع فسيرت ولاية بغداد جيشاً ضده تبعه تعزيزات بقيادة والي بغداد اويس باشا نفسه فهاجم البصرة من الشمال والجنوب فانتصر العثمانيون على قوات يحيى بن فضل[٣٢]، وهناك اشارات إلى أن ألامير يحيى بن فضل طلب مساعدة البرتغاليين الذين كانوا يسعون لاغتنام أيّ فرصة قد تؤدي إلى اضعاف اعدائهم العثمانيين في شمال الخليج العربي [٣٣] ولاسيما وان يحيى بن فضل قد وعد البرتغاليين بمنحهم حصناً في البصرة مقابل مساعدتهم له في استعادة وضعه السابق في البصرة [٣٤] .

وفي عام ١٥٥١م جهز البرتغاليون حملة بحرية تكونت من تسع عشرة قطعة وحوالي الف ومئتي رجل قادها (ألفونسو دي نورونها) Alfonzo de Noronha هاجمت ميناء القطيف واتجهت نحو البصرة لكنها لم تحقق شيء يذكر[٣٥] . ولمنع التعاون مجدداً بين أمراء البصرة المخلوعين منها والبرتغاليين ، أمر السلطان العثماني بتجهيز حملة ضد البرتغاليين ، فصدر الأمر من الباب العالي إلى السلطات العثمانية في بغداد لكي يقوم بحمله على البصرة يلتقي فيها بقوة بحرية كانت تنتظر قدومه في مينائها على أن يتم التوجهه بعد ذلك إلى هرمز لطرد البرتغاليين منها وان يقوم بيري ريس بتجهيز الحملة في البصرة [٣٦] . وفعلاً جمع بيري ريس عدداً من السفن مع رجالها ومؤنها وتحرك من البصرة في حزيران سنة ١٥٥٢م ودخل خليج عمان ، واخضع ميناء مسقط بعد أن دمر قلاعها البرتغالية ، ثم توجه نحو هرمز ودخل مدينتها لكن القوات البرتغالية المتحصنه في القلعة التي تحمل اسم القائد البوكيرك استعصت عليه فرفع الحصار عنها بعد عشرين يوماً بعد أن صادر أَّموال التجار الهرامزة وعاد إلى مصر حيث القى العثمانيون القبض عليه بتهمة الخيانة والتعاون مع البرتغاليين وأُعدِمَ بأمر من السلطان وصودرت ثروته . فأَّراد السلطان سليمان القانوني أن لايقع اسطوله في البصرة بيد البرتغاليين فأمر القبودان مراد بك سنجق القطيف الذي كان في البصرة حينها أنْ يعود

ببعض قطع الاسطول المذكور إلى السويس مع الابقاء على البعض الآخر منها ، وفعلاً أبحر بحوالي سبع عشرة سفينة وعندما وصل إلى مضيق هرمز دارت بينه وبين القوات البرتغالية معركة شرسة فأوكل سليمان القانوني مهمة مساعدة الاسطول العثماني إلى (سيدي علي ريس) الذي وصل إلى البصرة في شباط سنة ١٥٥٤م ، فتحرك منها على رأس خمس عشرة قطعة بحرية بعد تأكده من خلو منطقة شمال الخليج العربي من السفن البرتغالية ، لكنه اصطدم في خور فكان[٣٧] بخمس وعشرين سفينه حربية برتغالية فاندلعت معركة كبيرة ، وعلى الرغم من نجاة سيدي علي ريس منها إلا انه واجه في معركة أأخرى اثنتان وثلاثون سفينة برتغالية صمد أمامها ببسالة ، لكن سوء الاحوال الجوية اضعف الاسطول العثماني[٣٨]. الذي وصل إلى الهند منهكاً حيث لم يبق منه سوى ست قطع ، باعها سيدي على ريس إلى حاكم سورات So rat وعاد براً إلى الاستانه ، ومن الجدير بالذكر ان العثمانيين لم يحققوا تفوقاً كبيراً على البرتغاليين في مياه الخليج العربي وسواحل الهند بسبب عدم اعتمادهم على البصرة كقاعدة بحرية لهم لعدم توفر الاخشاب الصالحة لبناء السفن[٣٩] لكن يرجح ان هناك اسباباً اخرى تتمثل بعدم قدرة العثمانيين على فرض سيطرتهم المباشرة على البصرة بسبب رفض العشائر المحيطة بها الخضوع لسلطتهم ، فضلاً عن كثرة خلجان البصرة ومستنقعاتها ، الأمر الذي جعلها غير صالحة لأن تكون قاعدة بحرية[٤٠] .

وتكررت المحاولات البرتغالية للسيطرة على البصرة سنة ١٥٥٦م لكنها لم تحقق شيئاً كسابقتها، ويعود الأمر إلى سوء الاحوال الجوية هذه المرة [٤١] ، كما تكررت في سنة ١٥٥٩م وتحديداً في السادس والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة ٩٦٦هـ ، حيث اتجهت عشرة سفن برتغالية من نوع (غراب) نحو البصرة لكنها انسحبت بعد تقدم سفينتين عثمانيتين ، حيث بدأ في هذه المدة حصار الاسطول العثماني للبحرين المحتلة من القوات البرتغالية[٤٢] .

البرتغاليون والبصرة في ظل حكم اسرة آل افرسياب

شهد القرن السادس عشر الميلادي تطورات جديدة في محيط البصرة الأقليمي وفي داخلها المحلي ، كان لها أثر في استمرار دورها المهم على مستوى التنافس الدولي في منطقة الخليج العربي ، ففي جوار البصرة الشرقي بسط الصفويون سيطرتهم على اجزاء كبيرة من بلاد فارس واخذوا يتطلعون إلى الخارج ، ولاسيما منطقة الخليج العربي والعراق ، وقد شجعهم في ذلك تدهور الاستعمار البرتغالي في المنطقة[٤٣]. ومن جهة اخرى تأثر العراق بسرعة بمظاهر ضعف الدولة العثمانية ، حيث ظهرت قيادات عسكرية عمدت إلى الاعتماد على قوتها من أجل الوصول إلى السلطة تحت التبعية الاسمية للسلطان العثماني أذ تمكن كاتب من كُتَّاب الجند ان يشتري حكم البصرة من والي بغداد العثماني وذلك في سنة ١٥٩٦م. ولم يكن هذا الكاتب سوى أفرسياب (١٥٩٦-١٦٠٤م) الذي أسَّس حكم أسري في البصرة امتد حتى سنة ١٦٦٨م ، تمتعت البصرة خلاله بعهد من الاستقرار والامن لم تعرفه منذ سنوات خلت[٤٤] . حيث وصلها الرحالة البرتغالي (بيدرو تكسيرا) Pedro Teixeria في الأول من آب سنة ١٦٠٤م اذ وصف البصرة وحاميتها وحكومتها وأشار إلى ان جميع السلطات فيها تنحصر بشخص الباشا (اي افراسياب) [٤٥] ويذكر تكسيرا بان السفينة التي كانت تقلة بقيت في شط العرب مدة خمسة ايام ثم توجهة إلى منطقة (سراج) ويقصد منطقه السراجي التي تحمل اسم احد افرع شط العرب ، وقد قضى تكسيرا عدة أيام في بيت صديق له من الشام قبل ان يتوجهه إلى بغداد بواسطة الجمال عبر الصحراء[٤٦] .

بعد نجاح البصرة في تجاوز آثار الحصار التجاري البرتغالي عليها وما تبعه من محاولات لفرض النفوذ البرتغالي عليها بالقوة ، كان على البصرة ان تواجه محاولات الدولة الصفوية للسيطرة عليها هذه المرة ، لأن الصفويين الذين استطاعوا بمساعدة الانكليز من طرد البرتغاليين من هرمز سنة ١٦٢٢م وجهوا اهتمامهم إلى البصرة . التي اصبحت مركزاً للنشاط البرتغالي في الخليج العربي، وقد وجّدوا فيها كل الترحيب من حاكمها افرسياب[٤٧] .

ويبدو أن افرسياب أراد اللعب مع كل الاطراف من اجل المحافظة على مركز مستقل له وبالتالي للبصرة ، إذ فتحت المدينة أبوابها وممراتها المائية أمام التجار الهولنديين والانكليز والبرتغاليين مما أدى إلى ازدهار المدينة(٤٨) . حيث ذكر الرحالة الايطالي ديلافالية الذي زار البصرة في مطلع القرن السابع عشر الميلادي إن تجارتها انتعشت بعد استيلاء الصفويين والانكليز على قلعة هرمز كما ازداد توافد البرتغاليين العاملين في الهند اليها(٤٩) .

فبعد ان استولى الشاه (عباس الكبير) (١٥٨٧-١٦٢٩م) على بغداد في الثامن والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٦٢٣م(٥٠) سعى إلى فتح كل العراق من خلال الاستيلاء على البصرة بعد ان استولى على الموصل وكركوك ، لكن البصرة كان فيها الحكم الافرسيابي عميق الارتباط بالاهالي ، فقد ادرك الشاه عباس أن طرد البرتغاليين من هرمز ليس كافياً للقضاء على وجودهم في الخليج العربي إذ لابد من السيطرة على البصرة وطردهم منها ، لأّن البرتغاليين كانوا يسيطرون على تجارة البصرة والقطيف والاحساء ، فالصفويون الذين لم يكّونوا اسطولاً في الخليج العربي كان من المستحيل عليهم وقف نشاط البرتغاليين التجاري الا عن طريق حصار بري بالاستيلاء على الموانئ التي كانوا يتعاملون معها خاصةً البصرة ، ومن جانبهم كان البرتغاليون مستعدين للتعاون مع حكام البصرة إلى أبعد مدى للمحافظة على ما تبقى لهم من نفوذ في المنطقة(٥١) .

وفضلاً عن التجارة جعل البرتغاليون من البصرة مركزاً لنشاطهم التبشيري في المنطقة ، حيث أسسوا فيها "**جماعة دينية وحلقة تعليمية** "(٥٢) عرفت بأسم الاوغسطنيين وكان كل رهبانها من البرتغاليين الكاثوليك وكان كبيرهم يحمل لقب (نائب رئيس أساقفة غوا) في الهند ، ودخل الاوغسطينون في تنافس شديد وصل حد العداء المكشوف ضد الكرمليين وهم فرقة كاثوليكية فرنسية ، ومن الجدير بالذكر أُنْ حكام البصرة لم يتدخلوا في هذا الصراع وكانوا يتصرفون بالدرجة نفسها من التساهل تجاه البرتغاليين والفرنسيين على حداً سواء(٥٣) .

أصبحت البصرة من جديد هدفاً لقوتين ، الأولى شرقية ناهضة متمثلة بالدولة الصفوية والثانية غربية آفلة للزوال متمثلة بالبرتغال ، فقد بعث الشاه (عباس الكبير) إلى حاكم البصرة خلعاً فاخرة والقاباً فخمة لاستمالته إلى جانبه وطلب في الوقت نفسه أن يسك العملة باسمه وأنُ يعقد أهل البصرة عمائمهم على الطريقة المتبعة في بلاد فارس ، مقابل وعد من الشاه بإبقاء حكم البصرة في الاسرة الافرسيابية ، وأنْ يعفية من الجراية السنوية ، ويترك له تصريف امور البصرة بحرية ، لكن رسول الشاه " **لم يجد الا الطرد قبل اللقاء** "[٥٤] . يبدو أنَ الشاه أراد إضفاء صفة بلاده على البصرة ، غير أن حاكمها واهلها كانوا يعتزون بهويتهم ، فضلا عن ان الشاه كان يتصرف تجاه البصرة وكأنها تابعه له من خلال إعفائها من الجراية التي لم تدفعها المدينة قط ، وكان أهل البصرة يعلمون إنْ تلك الشروط لم تكن الا مقدمة لفرض السيطرة المباشرة على مدينتهم ، لان الشاه لم يكن ليرضى بتبعية البصرة الأسمية له فقط .

أمام هذا الموقف الحرج الذي مرت به البصرة وحاكمها (علي باشا افرسياب) الذي آلت اليه ألامور فيها بعد وفاة ابيه ، لم يجد بداً من اللجوء للبرتغاليين اعداء الصفويين اللدودين إذ أرسل سفينة محملة بالهدايا إلى قائد الاسطول البرتغالي في الخليج العربي (روي فيريرا) Rue Firera ومعها رسالة تدعو لعقد تحالف بين الطرفين ضد الصفويين حيث يقوم البرتغاليون بموجبه بارسال ست سفن كبيرة لحماية البصرة من تهديدات الصفويين وتعهد علي باشا بدفع تكاليف تلك السفن طالما بقيت يحميه ، حيث فرح (فيريرا) بهذه الدعوة لأنها اعطته إحساساً كبيراً بالأهميه ، فأجتمع مع كبار ضباطه وتم الموافقة على طلب علي باشا ، فجهزت قوة بحرية قادها (دوم كونسالو دا سلفا)[٥٥] Dom Gonzalo da selfira الذي كان تواقاً للانتقام من الصفويين لما فعلوه بهم في هرمز وكانت القوة مكونة من خمس سفن كبيرة ومثلها صغيرة وعلى متنها مائة جندي أبحرت من مسقط في كانون الثاني سنة ١٦٢٤م[٥٦] .فاصبحت قوة الطرفين الصفوي والبصري متساوية إلى حدً كبير ، فعلى الرغم من تفوق القوات الصفوية عددياً فقد كان الدفاع عن البصرة اوالاستيلاء عليها يتطلب استخدام

قوة بحرية مناسبة[٥٧] كي تستطيع دك حصون المدينة على شط العرب وهو ما كانت تفتقر له القوات الصفوية .

ويذكر (لونكريك) ان علي باشا افرسياب دفع للبرتغاليين اموالاً مقابل استقدام سفنهم الخمس للبصرة ، و كان صد الهجوم الصفوي يعتمد أساساً على صمود اهالي البصرة ، حيث اعلنت السلطة المحلية النفير العام فيها ، وساهم تجارها واشرافها في تسليح المتطوعين للدفاع عنها [٥٨] ومع استعدادات الطرفيين للمعركة البرية الفاصلة حدثت عدة مناوشات دون أن يغزو جيش الشاه الرئيس البصرة[٥٩] وقد بدأت تلك المناوشات في السادس عشر من آذار سنة ١٦٢٥م . فقامت ثلاث سفن برتغالية بمنع قوات الشاه عباس من نقل سبع مدافع من أحد موانئ الدورق قرب الحويزة ، حيث كانت قوات الشاه تنوي استخدامها في ضرب تحصينات البصرة[٦٠] لكن امراً غريباً حدث بعد ذلك اذ غادر جيش الشاه عباس معسكرة قرب البصرة في الثالث والعشرين من آذار سنة ١٦٢٥م على وجه السرعة حتى انه ترك الكثير من مؤنه في معسكره ، ولم تعرف اسباب ذلك على وجه التحديد[٦١] . وربما يعود الأمر إلى تمرد حدث في بلاده اراد الشاه القضاء عليه بسرعه .

ويذكر (روي فيريرا اندرادي) في مذكراته إنه فقد "**ستين مقاتلاً بين ميت من الأمراض وجراح المعارك** "[٦٢] .

وعلى الرغم من نجاح المساعدة البرتغالية في المحافظة على وضع البصرة المستقل ، فإن علاقات البرتغاليين مع حكامها لم تتطور بعد ذلك حتى مع فتح (علي باشا افرسياب) موانئ البصرة أمام التجارة البرتغالية[٦٣]، بسبب تراجع الوجود البرتغالي في المياه الشرقية نتيجة التنافس الانكليزي والهولندي لهم ، فضلاً عن أسباب تتعلق بالوضع الداخلي في البرتغال نفسها ولاسيّما بعد ان اصبحت جزءاً من اسبانيا خلال المدة ١٥٨٠-١٦٤٠م اذ ضعفت الامدادات العسكرية إلى المستعمرات البرتغالية في الشرق[٦٤] فاخذت تجارة البتغاليين مع البصرة تضعف باطراد حتى سنة ١٦٤٠م حينما انقطعت علاقات البرتغاليين بالبصرة ،

بسبب طردهم من الخليج العربي وتلاشي وجودهم فيه حيث لم ترد بعد ذلك إشارة تخص علاقتهم بالبصرة ، حتى سنة ١٦٦٣م حينما زارها الرحالة البرتغالي (غودينهو) Godinho الذي وصفها بانها أعظم سوق تجاري في منطقة الخليج العربي[٦٥] .

الخاتمة :

كانت البصرة بحكم موقعها وطبيعة الاوضاع الدولية والأقليمية حلقة مهمة من حلقات الصراع الدولي في منطقة الخليج العربي . وعليه اختلفت اشكال العلاقة بين البرتغاليون والبصرة. فقد بدأت من خلال مرور أحد الرحالة البرتغاليين اليها، ثم تطورت إلى علاقات تجارية ما لبثت أن تحولت إلى صدام عسكري لأن البرتغاليين حاولوا فرض سيطرتهم عليها بالقوة ، لكن ظهور الصفويين في ايران جعل البرتغاليين يحاولون اقامة علاقات طيبة مع البصرة ، التي تحولت إلى قاعدة أساسية لنشاطهم التجاري والتبشيري في منطقة الخليج العربي . واستطاعت البصرة ان تروض السياسة البرتغالية ذات الطابع العنيف وتحولها إلى مراعاة المصالح التجارية لتكون خير منفذ للوجود البرتغالي لكن الوقت كان قد ازف بالنسبة لنفوذهم في المنطقة . وقد حاولت البصرة استغلال ذلك الصراع الدولي للمحافظة على استقلاليتها عن الباب العالي على الرغم من التبعية الاسمية لها لأن وضعها التجاري المتميز مكنّها من أن تكون مطمعاً لكل القوى في المنطقة .

الهوامش :

(١) ينظر :ابتسام سعود كنون ، علاقة البرتغاليين بالدولة الصفوية ١٥٠٠-١٦٢٩م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة البصرة كلية الآداب ، ٢٠٠٩م ، ص ٤ ؛ عبد الحميد البطريق ، عبد العزيز نوار ، التاريخ الأوربي الحديث : من عصر النهضة الى اواخر القرن الثامن عشر ، مدينة نصر ، ١٩٩٧م، ص ٣٩-٦٠.

(٢) يسرى الجواهري ، الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية ،الاسكندرية ، (د،ت) ،ص١٤١.

(٣)علي بن ابراهيم ، تاريخ الاحتلال البرتغالي للقطيف ١٥٢١-١٥٧٢،أبو ظبي،٢٠٠١م،ص١٤٩.

(٤) خالد بن محمد القاسمي،دراسات في تاريخ اليمن والخليج ، ط١، بيروت ، ١٩٩٣م ، ص ١٣٥.

(٥) عن قيام هذة الدولة ينظر :بديع جمعة وأحمد الخولي ، تاريخ الصفويين وحضارتهم ، ط١، جـ١، القاهرة ، ١٩٧٦، ص ٢٨ومابعدها .

(٦) حميد أحمد حمدان ، خطوات السيطرة العثمانية في المشرق والخليج العربي ١٥١٤-١٥٤٧، مجلة المؤرخ العربي ، العدد٤٧، السنة ١٣، بغداد ، ١٩٩٤م، ص ١٠٠.

(٧) صالح أوزبران ، الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤-١٥٨١م، ترجمة عبد الجبار ناجي ، بغداد ، ١٩٧٩، ص ١٧.

(٨) محمود علي الداود ، العلاقات البرتغالية مع الخليج العربي ١٥٠٧-١٦٥٠، مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد ، العدد ٢ ، بغداد ، ١٩٦٠، ص ٢٣٣؛ صالح اوزبران ، المصدر السابق ، ص ١٨؛ج .ج. لوريمر ، دليل الخليج ،ترجمة الديوان الأميري في دولة قطر ،جـ ١، القسم التاريخي ، (د،م) ، (د،ت) ، ص ١١.

(٩) إبراهيم خليل أحمد ، بدايات التوجه العثماني نحو منطقة الخليج العربي ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٤٣، السنة ١٦، بغداد ، ١٩٩٠، ص٢٥.

(١٠) عن آل مغامس ودورهم في تاريخ البصرة ينظر : طارق نافع الحمداني ، مدن العراق وقبائلة العربية في العصر الحديث ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ٢٠١٠م ، ص ٧٣.

(١١) عماد أحمد الجواهري ، الدور التاريخي للبصرة على الخليج العربي ١٥٠٠-١٦٠٠م، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد٣ ،السنة ٤، جامعة الكويت ، ١٩٨٧، ص٨٦.

(١٢) صبري فالح الحمدي ، صفحات من تاريخ الخليج العربي الحديث ، ط١، دار الحكمة ، لندن ، ٢٠٠٢ م ، ص٣٥.

(١٣) طارق نافع الحمداني ، المصدر السابق ، ص ٨٠.

(١٤) أحمد عزت عبد الكريم وآخرون ، دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة ، جامعة الدول العربية ، (د،ت) ، ص ٢٢٥.

(١٥) خلدون النقيب ، المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٩م، ص ٦٥.

(١٦) نوال حمزة الصيرفي ، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري والسادس عشر الميلادي ، الرياض ، ١٩٨٣م، ص ٩٩.

(١٧) أحمد عزت عبد الكريم وآخرون ، المصدر السابق ، ص ٢٢٧.

(١٨) عماد أحمد الجواهري ، المصدر السابق ،ص ٨٥-٨٦.

(١٩) نقلاً عن : طارق نافع الحمداني ، المصدر السابق ، ص٧٩.

(٢٠) المصدر نفسة ، ص ٧٩ .

(٢١) نوال حمزة الصيرفي ، المصدر السابق ، ص ١٣٢ .

(٢٢) ستيفن هيمسلي لونكريك ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط ، ط٤، بغداد ، ١٩٦٨، ص٥٨ ؛ صالح أوزبران ، المصدر السابق ، ص ١٧-٢٦؛طارق نافع الحمداني ، المصدر السابق ، ص٨٠.

(٢٣) أرنولد ت ويلسون ، الخليج العربي :مجمل تاريخي من أقدم الأزمنة حتى أوائل القرن العشرين ، ترجمة عبد القادر يوسف ، مكتبة الامل ، الكويت ، (د،ت) ، ص ٢١٩.

(٢٤) نيقولا أيفانوف ، الفتح العثماني للأقطار العربية ١٥١٦-١٥٧٤، ترجمة :يوسف عطا الله ، ط١، دار الفارابي ، بيروت ، ٢٠٠٤،ص ١٠٧.

(٢٥) نقلاً عن : طارق نافع الحمداني ، المصدر السابق ، ص ٨١.

(٢٦) نقلا عن : المصدر نفسه ، ص ٨٢.

(٢٧) نيقولا ايفانوف ، المصدر السابق ، ص ٣٣٤.

(٢٨) صالح أوزبران،المصدر السابق،ص٣٢-٣٨؛صبري فالح الحمدي،المصدر السابق،ص ٦٤ .

(٢٩) فالح حنظل ، العرب والبرتغال في الخليج ٩٣- ١١٣٤هـ ٧١١م-١٧٢٠م ، ط١، أبو ظبي ، ١٩٩٧، ص٣٦٧.

(٣٠) نتاليا نيكولايفناتوما نوفيتش، الدول الاوربية في الخليج العربي من القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر ، مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث ، دبي ، (د،ت)، ص ٧٩-٨٠.

(٣١) على الرغم من أعتراف راشد بن مغامس بتبعيته للدولة العثمانية عندما أرسل ابنه مانع سنة ١٥٣٥ إلى بغداد وقدم مفاتيح البصرة إلى السلطان سليمان القانوني لكن آل مغامس استمروا يحكمون البصرة بصورة مستقلة عن الباب العالي مستغلين وجود القبائل العربية القوية حول البصرة ، وبعد راشد بن مغامس حكم البصرة ابنه مانع الذي تنازل عن الحكم إلى ابن عمه (يحيى بن فضل) الذي لم يتعاون مع العثمانيين الذين كلفوا (آياس باشا) والي بغداد بقيادة حملة عسكرية دخلت البصرة بعد قتال ضارٍ في السادس والعشرين من كانون الاول ١٥٤٦م. ينظر ، حميد أحمد حمدان ، المصدر السابق ، ص ١٠٣ .

(٣٢) إبراهيم خوري ، توسع الدولة العثمانية في الخليج العربي ونتائجه الاقتصادية في القرن العاشر ومطلع القرن الحادي عشر الهجري السادس عشر والسابع عشر الميلادي ، مجلة الوثيقة ، العدد١٥، السنة ٨، المنامة ، ١٩٨٩، ص ١٢٥.

(٣٣) طارق نافع الحمداني ، المصدر السابق ، ص ٨٣.

(٣٤) عبد العزيز عبد الغني ابراهيم ، بريطانيا وإمارات الساحل العماني : دراسة في العلاقات التعاقدية ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٧٨، ص ٣٤.

(٣٥) ارنولد.ت. ولسون ، المصدر السابق ، ص٢٢٠.

(٣٦) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم ،المصدر السابق ، ص ٣٥.

(٣٧) خور فكان : وهو خليج صغير تحيط به الجبال يكون على شكل فكين ولذلك سمي بهذا الاسم، وصفه البوكيرك بانه "اجمل المدن نظراً لاعتدال مناخه وتنوع زراعته " ينظر : محمود بهجت سنان ، امارة الشارقة ، السلسلة السياسية ١٥، بغداد ، ١٩٦٧،ص ٤٧.

(٣٨) عماد أحمد الجواهري ، المصدر السابق ، ص ٨٩.

(٣٩) عبد العزيز عبد الغني ابراهيم ، المصدر السابق ، ٢٢٧.

(٤٠) أحمد عزت عبد الكريم وآخرون ، المصدر السابق ، ص ٢٢٧.

(٤١) محمد عدنان مراد ، صراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي : جذورة التأريخية وأبعاده ، سوريا ، (د،ت) ، ص ١٤١.

(٤٢) للمزيد من التفاصيل عن الحصار العثماني للبحرين ونتائجه : ينظر: أورهو نلو ، تقرير حول الحملة العثمانية على البحرين سنة ١٥٥٩م، ترجمة حسين على الداقوقي ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد ٢١، السنة ٦، جامعة الكويت ، ١٩٨٠، ص ٢١٢-٢١٥. وكذلك ينظر : علي ابا حسين ، صفحات من تاريخ البحرين خلال الوثائق العثمانية ، مجلة الوثيقة ، العدد١٥، السنة ٨، المنامة ، ١٩٨٩، ص ٧٣.

(٤٣) الصفويون : سلالة اسسها اسماعيل الصفوي حكمت ايران (١٥٥١-١٧٣٦م) كانت طريقه صوفية ، نشأت في أردبيل بعد أن انتصر على (الاق قونيلو) واتخذ تبريز عاصمة لدولته وتلقب بالشاه وأعلن المذهب الشيعي الاثنا عشري مذهباً رسمياً لدولته ،وادعى اسماعيل الصفوي انتسابه الى البيت العلوي عن طريق الامام موسى الكاظم (ع) لكن هناك مصادر تشكك بهذا الامر . ينظر :

Percy Sykes ،Persia،oxford،1922،P.12.

ومن المصادر الفارسية ينظر ، نصر الله فلسفي ، زندكاني شاه عباس أول مقدمات سلطنة اوزاولادتت تابا شناسي ، جـ١، تهران ، ١٣٣٤(ش) ، ص ٣.

ومن المصادر العربية ينظر ، عبد العزيز سليمان نوار ، تاريخ الشعوب الاسلامية في العصر الحديث ، جـ١ ، بيروت ، ١٩٧٦، ص ٢٢٢.

(٤٤) أحمد عزت عبد الكريم وآخرون ، المصدر السابق ، ص ٢٢٨-٢٢٩ . اشترى (افرسياب) البصرة بثمن رخيص بحوالي ثمانية أكياس رومية (الكيس الواحد يساوي ثلاثة الاف محمدي) على أن لا يقطع الخطبة للسلطان العثماني وان يدفع الجراية السنوية للباب العالي . ينظر : علي شاكر علي ، تاريخ العراق في العهد العثماني ١٦٣٨-١٧٥٠ميلادية ١٠٤٨-١١٦٤هجرية دراسة في احوالة السياسية ، ط١ ، بغداد ، ١٩٨٠، ص ١٢٨.

(٤٥) عن مشاهدات تكسيرا في البصرة ينظر ، بيدرو تكسيرا ، مشاهدات تكسيرا في العراق سنة ١٦٠٤م ، ترجمة جعفر الخياط ، مجلة الاقلام ، العدد ٤، السنة الاولى ، ١٩٦٤، ص١٣٦؛ بيدرو تخسيرا ، تاريخ الخليج العربي في إسفار بيدرو تخسيرا ، ترجمة عيسى إمين ، مؤسسة الايام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ، المنامة ، ١٩٩٦،ص ٧٤-٧٩ .

(٤٦) بيدرو تخسيرا ، تاريخ الخليج والبحر الأحمر في إسفار بيدرو تخسيرا ، ترجمة عيسى أمين ، المنامة ، ١٩٩٦، ص ٢٩-٣٠.

(٤٧) يقظان سعدون العامر ، نشاط شركة الهند الشرقية الانكليزية في البصرة ، جامعة البصرة ، دار الحكمة ، ١٩٩٠، ص ٨ .

(٤٨) عباس اسماعيل صباغ ، تاريخ العلاقات العثمانية –الإيرانية :الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين ، دار النفائس ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩٩، ص١٥٩.

(٤٩) حسين احمد القهواتي ، أضواء على تجارة البصرة في القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر ، مجلة الخليج العربي ، المجلد ١٢، العدد ٢ ، مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة ، ١٩٨٠م ، ص ٢٠؛ ديللا فاليه ، رحلة ديللافاليه إلى العراق (مطلع القرن السابع عشر) ، ترجمة بطرس حداد ، دار الموسوعات العربية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٦م،ص ١١٩.

(٥٠) لمزيد من التفاصيل عن سياسة الشاه عباس الكبير الخارجية ،ينظر مشعل مفرح ظاهر الشمري، سياسة إيران الخارجية في عهد الشاه عباس الاول (الكبير) ١٥٨٧-١٦٢٩م، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية الاداب جامعة البصرة ، ٢٠٠٠م .

(٥١) عبد العزيز سليمان نوار ، المصدر السابق ، ص ٦١؛ الكسندر أداموف ، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرتها ، ترجمة صالح التكريتي،دار الوراق ، ٢٠٠٩،ص ٢١٦.

(٥٢) لوريمر ، المصدر السابق ، ص ٦٦.

(٥٣) الكسندر أدموف ، المصدر السابق ، ص ٢٦٦.

(٥٤) عبدالعزيز سليمان نوار،المصدر السابق،ص٦١؛الكسندر أدموف،المصدر السابق ،ص٢٧٧.

(٥٥) شاهد الرحالة الايطالي ديللافالية Pielro Della valle الاسطول البرتغالي عند زيارته البصرة أبان هجوم الشاه عباس على البصرة في آذار سنة ١٦٢٥م والتقى مع قائده . ينظر : ديللافالية ، المصدر السابق ، ص ١١٩-١٢٦.

(٥٦) روي فيريرا إندرادي، تاريخ البرتغاليين في الخليج العربي : يوم سقطت هرمز مذكرات القائد البحري روي فيريرا اندرادي ، ترجمة عيسى أمين ، المنامة ، ١٩٩٦، ص ١٥٧-١٥٨.

(٥٧) عبد العزيز سليمان نوار ، المصدر السابق ، ص ٦١.

(٥٨) ستيفن هيمسلي لونكريك ،المصدر السابق ، ص ١٣٢.

(٥٩) عبد العزيز سليمان نوار ، المصدر السابق ، ص ٦١.

(٦٠) ديللافالية ، المصدر السابق ، ص ١٢٦.

(٦١) عبد العزيز سليمان نوار ، المصدر السابق ، ص ٦١.

(٦٢) روي فيريرا اندرادي،المصدر السابق ، ١٦٤.

(٦٣) المصدر نفسه ، ص ١٦٥.

(٦٤) يقضان سعدون العامر ، المصدر السابق ، ص ٧ .

(٦٥) ستيفن هيمسلي لونكريك ،المصدر السابق ، ص ١٤٢. وعن تدهور الإستعمار البرتغالي في منطقة الخليج العربي ينظر : زكي صالح ، بريطانيا والعراق ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٦٨، ص ٤٤-٤٥ ؛عبد العزيز عوض دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث ، جـ١ ، ط١،بيروت، ١٩٩١،ص ٤٩؛ عبد الفتاح إبراهيم،على طريق الهند،العراق،٢٠٠٤م ،ص٤٢.

قائمة المصادر :

اولاً – الكتب

أ– العربية والمعربة :

١– أحمد عزت عبد الكريم وآخرون،دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة، جامعة الدول العربية ، (د،ت) .

٢- أرنولد ت ويلسون ، الخليج العربي :مجمل تاريخي من أقدم الأزمنة حتى اوائل القرن العشرين ، ترجمة عبد القادر يوسف ، مكتبة الامل ، الكويت ، (د،ت) .

٣- أرنولد.ت. ولسون ، المصدر السابق ، ص٢٢٠.

٤- بديع جمعة وأحمد الخولي ، تاريخ الصفويين وحضارتهم ، ط١، جـ١، القاهرة ، ١٩٧٦.

٥- بيدرو تخسيرا ، تاريخ الخليج العربي في اسفار بيدرو تخسيرا ، ترجمة عيسى امين ، مؤسسة الايام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ، المنامة ، ١٩٩٦ .

٦- ج .ج. لوريمر ، دليل الخليج ،ترجمة الديوان الأميري في دولة قطر ،جـ ١، القسم التاريخي ، (د،م) ، (د،ت) .

٧- خالد بن محمد القاسمي ، دراسات في تاريخ اليمن والخليج ، ط١، بيروت ، ١٩٩٣م .

٨- خلدون النقيب ، المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٩م .

٩- ديللا فاليه ، رحلة ديللافاليه إلى العراق (مطلع القرن السابع عشر) ، ترجمة بطرس حداد ، دار الموسوعات العربية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٦م .

١٠- روي فيريرا اندرادي، تاريخ البرتغاليين في الخليج العربي : يوم سقطت هرمز مذكرات القائد البحري روي فيريرا اندرادي ، ترجمة عيسى أمين ، المنامة ، ١٩٩٦.

١١- زكي صالح ، بريطانيا والعراق ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٦٨.

١٢- ستيفن هيمسلي لونكريك ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط ، ط٤، بغداد ، ١٩٦٨ .

١٣- صالح أوزبران ، الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤-١٥٨١م، ترجمة عبد الجبار ناجي ، بغداد ، ١٩٧٩ .

١٤- صبري فالح الحمدي ، صفحات من تاريخ الخليج العربي الحديث ، ط١، دار الحكمة ، لندن ، ٢٠٠٢ م .

١٥- طارق نافع الحمداني ، مدن العراق وقبائلة العربية في العصر الحديث ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ٢٠١٠م .

١٦- عباس إسماعيل صباغ ، تاريخ العلاقات العثمانية –الإيرانية :الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين ، دار النفائس ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩٩ .

١٧- عبد الحميد البطريق ، عبد العزيز نوار ، التاريخ الاوربي الحديث : من عصر النهضة إلى آواخر القرن الثامن عشر ، مدينة نصر ، ١٩٩٧م .

١٨- عبدالعزيز سليمان نوار،تاريخ الشعوب الأسلامية في العصر الحديث،جـ١،بيروت ، ١٩٧٦ .

١٩-عبدالعزيز عبد الغني ابراهيم ، بريطانيا وامارات الساحل العماني : دراسة في العلاقات التعاقدية، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٧٨.

٢٠- عبد العزيز عوض دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث ، جـ١ ، ط١، بيروت ، ١٩٩١.

٢١- عبد الفتاح ابراهيم ، على طريق الهند ، العراق ، ٢٠٠٤م .

٢٢- علي بن ابراهيم ، تاريخ الاحتلال البرتغالي للقطيف ١٥٢١-١٥٧٢،أبو ظبي ،٢٠٠١ .

٢٣- علي شاكر علي ، تاريخ العراق في العهد العثماني ١٦٣٨-١٧٥٠ميلادية ١٠٤٨-١١٦٤هجرية دراسة في احوالة السياسية ، ط١ ، بغداد ، ١٩٨٠، ص ١٢٨.

٢٤- فالح حنظل،العرب والبرتغال في الخليج ٩٣- ١١٣٤هـ ٧١١م-١٧٢٠م،ط١،ابوظبي، ١٩٩٧.

٢٥-الكسندر أداموف،ولاية البصرة في ماضيها وحاضرتها،ترجمة صالح التكريتي،دارالوراق،٢٠٠٩ .

٢٦- محمد عدنان مراد ، صراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي : جذورة التأريخية وابعادة ، سوريا ، (د،ت) .

٢٧- محمود بهجت سنان ، إمارة الشارقة ، السلسلة السياسية ١٥، بغداد ، ١٩٦٧ .

٢٨- نتاليا نيكولايفناتوما نوفيتش، الدول الاوربية في الخليج العربي من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر ، مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث ، دبي ، (د،ت)، .

٢٩- نوال حمزة الصيرفي ، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري والسادس عشر الميلادي ، الرياض ، ١٩٨٣م .

٣٠- نيقولا أيفانوف ، الفتح العثماني للأقطار العربية ١٥١٦-١٥٧٤، ترجمة :يوسف عطا الله ، ط١، دار الفارابي ، بيروت ، ٢٠٠٤ .

٣١- يسرى الجواهري ، الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية ،الاسكندرية ، (د،ت) .

٣٢- يقظان سعدون العامر، نشاط شركة الهند الشرقية الانكليزية في البصرة، جامعة البصرة ، دار الحكمة ، ١٩٩٠ .

ب- الفارسية :

١- نصر الله فلسفي ، زندكاني شاه عباس أول مقدمات سلطنة اوزاولادتت تابا شناسي ، جـ١، تهران ، ١٣٣٤(ش) .

جـ -الانكليزية:

1-Percy Sykes، Persia، Oxford، 1922.

ثانياً-الاطارح والرسائل الجامعية :

١- ابتسام سعود كنون ، علاقة البرتغاليين بالدولة الصفوية ١٥٠٠-١٦٢٩م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة البصرة كلية الاداب ، ٢٠٠٩م .

٢- مشعل مفرح ظاهر الشمري ، سياسة ايران الخارجية في عهد الشاه عباس الاول (الكبير) ١٥٨٧-١٦٢٩م،رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الاداب جامعة البصرة ، ٢٠٠٠م .

ثالثاً-البحوث المنشورة :

١- ابراهيم خليل أحمد ، بدايات التوجه العثماني نحو منطقة الخليج العربي ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٤٣، السنة ١٦، بغداد ، ١٩٩٠.

٢- ابراهيم خوري ، توسع الدولة العثمانية في الخليج العربي ونتائجه الاقتصادية في القرن العاشر ومطلع القرن الحادي عشر الهجري السادس عشر والسابع عشر الميلادي ، مجلة الوثيقة ، العدد١٥، السنة ٨، المنامة ، ١٩٨٩ .

٣- بيدرو تكسيرا ، مشاهدات تكسيرا في العراق سنة ١٦٠٤م ، ترجمة جعفر الخياط ، مجلة الاقلام، العدد ٤، السنة الاولى ، ١٩٦٤ .

٤- حميد أحمد حمدان ، خطوات السيطرة العثمانية في المشرق والخليج العربي ١٥١٤-١٥٤٧، مجلة المؤرخ العربي ، العدد٤٧، السنة ١٣، بغداد ، ١٩٩٤م .

٥- حسين احمد القهواتي ، اضواء على تجارة البصرة في القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر ، مجلة الخليج العربي،المجلد ١٢، العدد ٢ ، مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة ، ١٩٨٠م .

٦- علي ابا حسين ، صفحات من تاريخ البحرين خلال الوثائق العثمانية ، مجلة الوثيقة ، العدد١٥، السنة ٨، المنامة ، ١٩٨٩.

٧- عماد احمد الجواهري ، الدور التاريخي للبصرة على الخليج العربي ١٥٠٠-١٦٠٠م، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد٣ ،السنة ٤، جامعة الكويت ، ١٩٨٧ .

٨- محمود علي الداود ، العلاقات البرتغالية مع الخليج العربي ١٥٠٧-١٦٥٠، مجلة كلية الاداب ، جامعة بغداد ، العدد ٢ ، بغداد ، ١٩٦٠.